

العزل المنزلي ينتج أدبا مشحونا بالأسرار

المغربية عائشة البصري: كورونا مشهد روائي ثري ومثير



الإبداع أروحة بين الوعي والغيوبه

في تجربة روايتها الكورونية، وإن المتبوع لمسارها الإبداعي سيلاحظ أن ثيمة الموت حاضرة بقوة في كتاباتها الشعرية كسؤال وجودي، ناتج عن ذلك القلق الفطري الذي ضخمه حضور الموت من حولها أكثر من الحياة.

**جانحة كورونا ستختلف
حقة تاريخية جديدة
وهذه الحقة ستؤثر بعمق
في الأدباء وستبلور فضاء
إبداعيا مختلفا**

تلقت الكاتبة إلى أن حضور الموت في أعمالها الروائية يكاد يكون سورباليا أكثر منه تعبيرا عن قلق وجودي، فالفصل الأخير من رواية "ليالي الحرير" مثلا يدور في مقبرة مونبارناس، حيث يلخص خوان (الشخصية الرئيسية) فلسفة الموت المقصودة من الرواية الموت ليس وجودا آخر، بل هو مجرد عبور إلى وجود ثالث، لا يمكن أن نسميه حياة ولا موتا، لأنه الجهول، ليس هناك شيء نهائي، لا الحياة ولا الموت، ولا حتى ما بعد الموت.

وجعلت المؤلفة من الموت فضاء تتحرك فيه شخصيات رواية "كحثة في رواية بوليسية"، فضاء البرزخ الذي يربط بين عالم الموتى وعالم الأحياء هو في العمق الفضاء الحقيقي للرواية، حيث تنتقل الساردة بينهما بسلاسة، فندجها في فقرات كثيرة ليس لديها اليقين هل هي ميتة أم حية. وتشير إلى أن رواية "كحثة في رواية بوليسية" لا تهاب الموت، بل تحسق فيه وتحاول ترويضه وجعله أليفا عبر السرد، وهي أفضل طريقة لتجاوز المحنة الإنسانية الحالية والرعب الكبير بسبب جانحة كورونا ومجاورته الموت. وتذكر عائشة البصري في حوارها مع "العرب" أن الكتابة السردية في هذا السياق غالبا ما تستعين بالفانتازيا والغرائبية لعالم وفضاءات الموت، "تستهويني الفضاءات الغرائبية، وتعجبني الكتابة داخل الخط الفاصل، ذلك الما بين المبتس: بين الحلم واليقظة، بين الجنون والعقل، بين الموت والحياة، وبين متيقن كما في هذه الرواية، أما شخصياتي فهي تلك الأشباح التي تتجول بين هذه العوالم الشبقة".

إنها شاعرة، والمؤلفة تستحضر ذاتها أحيانا في شخصياتها. تؤكد البصري لـ"العرب" أنها عندما تكون بصدد كتابة نص روائي، تبدل قصصا يراها لنفسها لعشيد عالما روائيا بصمتها الخاصة كشاعرة، لأنها لا تؤمن برواية خالية من روح الشعر، لكنها لا تقتصد مطلقا أن تبني معمارا روائيا بقصائد نثر كلبنا مترصة، إذ تحرص على ألا تغتال لغة الشعر لغة السرد، لكنها تعترف بأن المهمة كانت صعبة في البداية.

في رواية "كحثة في رواية بوليسية" كان هناك تضمين صريح لأبيات شعرية إلى جانب مقاطع قصصية، كما أن خلفيات هذه الرواية رؤى تسجيلية خاصة نابعة من خبرة ذاتية في وصف فضاء الموت، الأدوية، التحاليل المخبرية، المستشفى، الأمراض.

وتضيف "عندما تتسلل الذات الكاتبة إلى النص لا تطلب الإذن من أحد حتى من الكاتب نفسه. كيميائية الكتابة لها أسرارها التي لا يحيط بها الكاتب كلها، فالكاتبة لها وعيها ولا وعيها أيضا. لا أعلن أن هناك نصا أدبيا سردا أو شعرا، يمكنه أن ينجو من الذات الكاتبة. دائما نعثر على أنفسنا بصيغة أو باخرى في النصوص التي نكتبها".

بعض الكتاب الذين شكلوا نماذج كونية لاستقلال ذات الكاتب عن كتاباتهم مثل كافكا وبيكيت، تم العثور عليهم في مواقع متعددة من كتاباتهم. وحين يقرر كاتب أو كاتبة ألا يسمح بعبور ذاته إلى النص الذي يكتبه، لن يستطيع أن يمنح نفسه من الحضور في المعجم الذي يستعمله وفي الجمل التي يركبها بإيقاعه وآنفاسه، وكذلك في الشكل وفي البناء. لكن يبقى التخييل هو الأساس. تبدو حياة العزلة لدى عائشة البصري بمثابة تعطيل للقلب والروح وتجميد للحواس، وتلك فلسفة الموت

لن تدمر ذلك الكائن المجري الصغير، لكنها ستسجل للحظة وأثر الكارثة.

الحياة تتخسر ضد الموت، لكن الذكرة تننصر في معركتها ضد العدم؛ كما يقول ترفيتان تودوروف.

لم تستطع البصري تجاهل ما يحدث في العالم، ومقاومة الكتابة عن التداخيل النفسية للجانحة عليها وعلى الآخرين، فتحت تأثير أجواء الموت والعزلة والأخبار التي تصلنا كل يوم عبر القنوات الفضائية، ضبابية المستقبل وحتى الشك في الغد، الخوف من شيء غامض، فايروس صغير لا يرى بالعين المجردة، عدم اليقين في المستقبل، فقدان الإيمان بالأنظمة الاجتماعية والاقتصادية، بالأظمة الدولية، وحتى الموت، وتعود شخصية روائية إلى عالم الموت والصراع مع وباء كورونا.

وتوضح أنها منذ الأسبوع الأول للحجر المنزلي، أوقفت كتابة رواية كانت على مشارف النهاية، لتدخل رواية جديدة تدور أحداثها في زمن كورونا: "فتحت باب الموت على مصراعيه ودخلت، دون سابق نية،

عولم رواية جديدة. كان يكفي أن توفر لي الجانحة الشرارة الأولى ليتكفل الخيال بالباقي. رغم أنه ليس من عادتي أن أكتب عن موضوع أتي، أو ظاهرة في طور التكوين، كما أنه لم يسبق لي أن اشتغلت في هذا الحيز الزمني الضيق، فعالما ما تأخذ مني الرواية سنتين أو أكثر. هذه الرواية اكتملت في داخلي بسرعة، قد يكون تأثير الجو العام، الخوف المرعب من العدوى، قد يكون السياق مع الموت. فبشكل من الأشكال هذه الرواية يقترن فيها مصير الرواية ومصير الشخصية الرئيسية، في سياق مع الزمن وصراع ضد الموت".

بصمة شعرية

ثمة إشارات إلى تماهي الذات الساردة (المرأة/ الجثة) مع الشاعرة الروائية الكاتبة، وهذا يثير تساؤلا إضافيا عن تضفير المونولوج الشعري وتقنيات القصيدة في النص السردية الروائي، وكان الروائية لا تنسى أبدا

على غرار الفنانين ومختلف المبدعين هناك بعض الكتاب العرب الذين بدأوا بتناول جانحة كورونا في نصوص وأعمال أدبية، حيث يكتبون عن الحدث وهو في طور التشكل. وهذا ما يمثل تحديا كبيرا على غرار ما خاضته الكاتبة المغربية عائشة البصري، في روايتها الأخيرة "كحثة في رواية بوليسية". "العرب" التقت الكاتبة المغربية وحوارتها حول روايتها الجديدة.

شريف الشافعي
كاتب مصري

تحبك عائشة البصري سردياتها الروائية بأسلوب شعري يعتمد التخييل والتعمق الفلسفي والغوص النفسي والمونولوج الداخلي، كونها شاعرة في الأساس، ويقودها الاستغراق الشعري إلى تضفير الخبرات الحياتية والتجارب والمعارف الذاتية في نسج شخصي والأحداث الروائية التي تأتي غير منفصلة عن واقعها الشخصي المباشر.

تتقدم البصري في كتابتها الإبداعية مناطق شائكة، ففي روايتها "كحثة في رواية بوليسية"، الصادرة مؤخرا عن الدار المصرية اللبنانية تتناول المرحلة "الكورونية" وتداعيات الحجر الصحي وانتشار الجانحة العالمية وأثارها على البشر في لحظة زمنية "تتأرجح بين الموت والحياة".

وقدمت نموذجا لامرأة مذبذبة بين الحضور والتلاشي، فهي تارة حياة وتصارع أعراض كورونا العنيفة، وحيثما في غيبوبة تسترجع ذكريات عشر سنوات من الماضي القريب، وفي بعض الأحوال هي جثة أو ميتة إكلينيكيا أو كليسا منذ 2010 حتى 2020 في معزلها الغامض.

زمن كورونا

باتي استلهام الكاتبة جانحة كورونا والعزل المجتمعي روائيا وشعريا على هذا النحو المدهش، ليفتح التساؤل حول تأثيرات الأحداث الكبرى (الأوبئة، الحروب، الثورات، الكوارث، إلخ) على الأدب، وما إذا كانت "الكورونية" بلورت بالفعل فضاء إبداعيا ممتكلا ومشتريا إنسانيا لخلق خيوط أدبية وفكرية وفلسفية في هذه الفترة الجوزية، أم لا يزال الوقت قصيرا لبلوغ هذا المثال.

تشير عائشة البصري لـ"العرب" إلى أن حبة تاريخية جديدة قد باتت على الأبواب، وهذه الحبة ستبلور فضاء إبداعيا مختلفا، ومظلم ما سينشر خلالها سيكون تحت عنوان "زمن كورونا"، لأن الأمر يتعلق بتدوين حدث استثنائي في حياة الإنسانية، علما بأن هذا النوع من الكتابات ليس جديدا، فالآداب والكتابات حول الجوائح والكوارث والأوبئة والمجاعات والحروب ليست طارئة بل لها تاريخ.

في هذه الجانحة، كما توضح عائشة البصري، دخل الكتاب مرحلة "الكورونية"، ونشرت كتابات في الموضوع منذ الأيام الأولى للجانحة. والكثير من الأدباء في العالم الذين عاشوا هول الفايروس والحجر الصحي مبكرا، إما استلهموا كتيبهم في الموضوع وإما انتهوا، مثل كتاب "عدوى" للروائي الإيطالي بولوي جيوردانو. كما أن الكاتب المغربي الطاهر بن جلون نشر في بداية شهر أبريل "رسالة إلى الصدق البعيد" في موقع "فرانس أنتير"، يتحدث فيها عن معاناة صديق له مع وباء كورونا، وعرفت الساحة الثقافية نقاشا بين الفيلسوف الإيطالي جورجيو آغامبين والفيلسوف الفرنسي جان لوك نانسي حول التعاطي مع أزمة كورونا.

وترى الكاتبة المغربية أن هذه الكتابات ما زالت عند حدود التساؤل، لكنها توظف واضح للفلسفة والفكر والإبداع في مواجهة وباء كورونا، وتقول "كما كتبت في إحدى تدويناتي، فلا أحد من الكتاب سينجو من كورونا، لأن من سينجو من الإصابة بالفايروس، لن ينجو من التأثير النفسي لأجواء لحظة زمنية تتأرجح بين الموت والحياة. والأكيد أن الكلمة التي سيطلقها كاتب

السوري صقر عlishي: الحداثة الشعرية منبعها الأفق المفتوح للقصيدة

وهو نزار الذي ركب موجة الحداثة وحارب أوزان الخليل فقد عاد بعد فترة إلى موسيقى الشعر وأوزانه، لأنه رأى أن الشاعر يمكن أن يبدع ضمن هذه القوالب.

وحول ميل بعض الشعراء المعاصرين للضبابية يعتبر عlishي أنه ليس من الضرورة أن يكون الشعر غامضا أو غير مفهوم ولكن يجب أن يكون محلقا وعميقا ويمتلك الرؤى المجنحة ويحمل الروافع الجمالية، وهذا لا يتناقض مع البساطة التي يقدرها عlishي من دون أن تتحد إلى اللغة المباشرة.

ويشير عlishي إلى أن الشاعر الموهوب يكون شعره مهما منذ البداية فلا يوجد شاعر بدأ رديئا ثم جيدا ثم مدهشا ضمن خط بياني متصاعد، ولكن يمكن أن يبدأ رومانسيا ثم يتجه نحو تعميق الفكرة ثم باتجاه الرمزية.

وحول نتاجه الشعري المطبوع يتحدث عlishي عن مجموعته الأولى "قصائد مشرفة على السهل" التي صدرت سنة 1984 وكرسته كاحد شعراء قصيدة النثر حيث ابتعد فيها عن الموزون دون قطيعة مطلقة معه.

ومن إصدارات عlishي مجموعة "عناقيد الحكمة" التي جاءت معظم قصائدها من الشعر الساخر ففيها قصيدة تسترخ من فكرة الشاعر الفرنسي رامبو بتغيير العالم، كما احتوت نثرية مطولة يرثي فيها الماغوط بأسلوبه. أما مجموعته "قليل من الوجد" فكتبها بعد انقطاع دام عشر سنوات ومعظم قصائدها وجدانية وعاطفية إضافة إلى مرتبة لنزار قباني وقصيدة "أحاول هذا الكلام" التي طبعها منفردة في كتيب.

واحتفى عlishي في مجموعته التي صدرت قبل الحرب بعنوان "الغزال" بالوجود والأنثى والطبيعة وبقيت ظلها موجودة بقصائد مجموعته الأخيرة "معنى على التل" مشيرا إلى أن لديه حاليا ثلاث مجموعات جاهزة للنشر.

وتذكر أن صقر عlishي هو شاعر سوري من مواليد قرية عين الكروم في محافظة حماة السورية، غالبا ما حملت قصائده نكهة خاصة، فهي دائما تحاكي السخرية في إيقاعاتها لكن السخرية ليست سخرية عابرة، بل هي سخرية محتواة بالحكمة استنبطها الشاعر من الحياة اليومية التي يعيشها الإنسان حتى أنه في بعض القصائد كان يحكي سيرة ذاتية عن ذاته، هذا ما جعل للشاعر خصوصية في نفسه.

أهتم صقر عlishي بالموضوعات البسيطة "لكي يكون شعره مقبولا لدى فئات واسعة من الناس"، كما يرى، وقد كتب أنماط عدة في بنية القصيدة أسهمت في تحقيق الانسجام في نصوصه وأعطته خصوصيته، حتى أن أغلب النقاد يعتبرونه الشاعر العربي الوحيد الذي يعتمد في شعره وبشكل كامل تقنية السخرية.

دمشق - ينتمي الشاعر السوري صقر عlishي إلى الجيل الثاني في الشعر العربي المعاصر بعد فرسان الحداثة، حيث قدم في مجموعاته، التي تناهز العشرة، تجربة خاصة كرسسته ضمن الأسماء المهمة في قصيدة النثر رغم تمكسه بالموسيقى الشعرية.

ويميز عlishي بين نوعين في الموسيقى الشعرية أحدهما خارجي ويتعلق بالموزن والقافية، والثاني داخلي وهو عبارة عن توافيق وتناغم ينبعث من روح الشاعر.

ويرى الشاعر أن الموسيقى الداخلية ليست وفقا على قصيدة النثر وعندما يفقد الموزون يصبح نظما جافا، لافتا إلى أن طبيعة الشاعر وتمثله للجارب وتركيبته النفسية تؤثر في وجود موسيقى شائعة تميزه عن غيره.

ليس ضروريا أن يكون الشعر غامضا أو غير مفهوم، ولكن يجب أن يكون محلقا وعميقا برؤاه

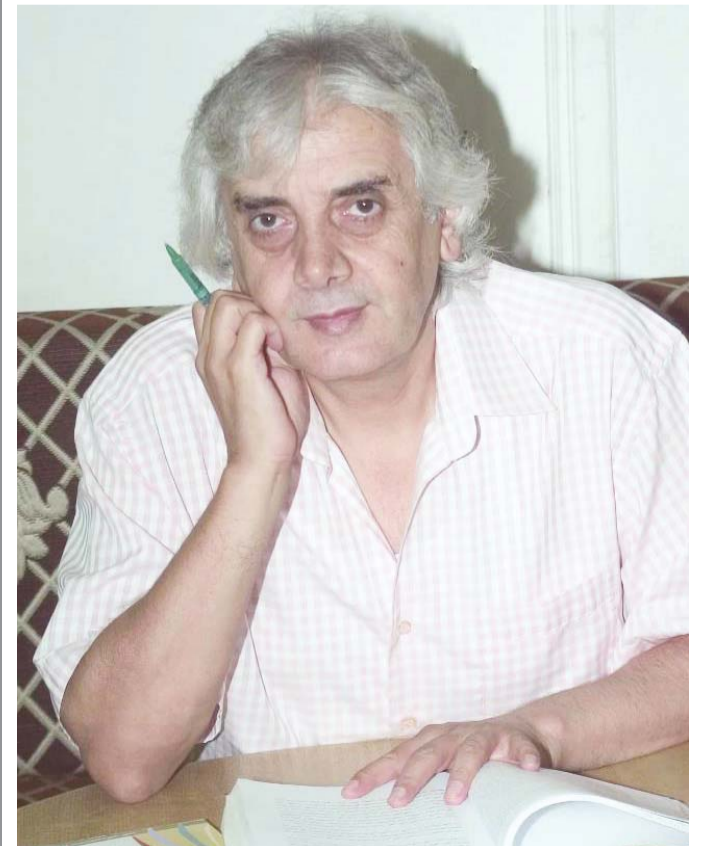
ويؤكد عlishي أن السوريين كبار في قصيدة النثر معتبرا الشاعر محمد الماغوط أهم من كتبها إضافة إلى أدونيس ونزيه أبوعفش وسنية صالح ومحمد عمران.

ويجد عlishي أنه ليس من الضرورة أن يتقن شاعر النثر بحور الخليل، وهناك شعراء أبدعوا في الوزن ولكن محاولاتهم النثرية كانت أقل شأنا مثل أبوعفش ونزار قباني ومحمود درويش، في حين أن الماغوط أبدع في النثر فلماذا نطلب منه كتابة الموزون طالما أنه كتب قصيدة نثر "مهمة ورائعة".

وليست للقصيدة الحديثة وفق عlishي قواعدا ثابتة وهذا يرجع إلى تجربة الشاعر الذي قد ينوع باللون أو القافية أو يدمج النثر بالشعر، كما فعل أدونيس وسليم بركات، مؤكدا أن الشاعر لا يكون حدائيا لمجرد اختيار التفعيلة أو النثر، والحداثة تكون من داخل القصيدة وفي أفقها المفتوح وصورها وانزياحاتها، وتجاهل الوزن والقواعد لا يعني الحداثة بالمطلق.

ويتوقف عlishي عند أحد أنواع الحديث في شكل القصيدة العمودية بأن يعمل الشاعر على تقسيم البيت ووضع وفقات فيه دون الالتزام بالصدر والعجز، وهذا له علاقة بالرؤية البصرية ويعطي راحة للعين.

ويتوقف الشاعر عند تجربة شاعرين من عصرين مختلفين مع الشعر والنثر فالأول محي الدين ابن عربي كان في كتبه النثرية أعمق وأبعد من مثيلاتها الشعرية، كما تجلج ذلك في شرحه لديوانه "ترجمان الأشواق". أما الثاني



تجاهل الوزن والقواعد لا يعني الحداثة